الدرس السادس

الهجرة إلى الحبشة: وبسبب استمرار المشركين في تعذيب من يُكتشف إسلامه ، خصوصًا الضعاف منهم ؛ طلب الصحابة إلى الرسول ـ ﷺ ـ أن يهاجروا بدينهم إلى الحبشة عند النجاشي ، الذي سيجدون عنده الأمن ، خصوصًا أنَّ كثيرًا من المسلمين قد خشوا على أنفسهم وأهليهم من قريش فأذن لهم ، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة ، فهاجر من المسلمين قُرابة السبعين بأهليهم ، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ﷺ ، ولقد حاول القرشيون إفساد مقامهم في الحبشة ؛ فأرسلوا الهدايا إلى الملك ، وطلبوا إليه أن يسلمهم أولئك الهاربين ، وقالوا له: إن المسلمين يسبون عيسى ـ عليه السلام ـ وأمه ، فلما سألهم النجاشي عن ذلك أوضحوا له ما يقوله القرآن عن عيسى ـ عليه السلام ـ وبينوا له الحق ، وقرؤوا عليه سورة مريم ، فأمَّنَهم ورفض تسليمهم إلى قريش ، وآمن وأعلن إسلامه.

في رمضان من السنة نفسها ، خرج النبي ـ ﷺ ـ إلى الناس في الحرم ، فقام فيهم ، وأخذ يتلو سورة النجم ، وكان هناك جمعٌ كبيرٌ من قريش ، ولم يكن هؤلاء الكفار قد سمعوا كلام الله من قبل ، بسبب أسلوبهم المتواصل بالتواصي بألا يسمعوا من الرسول ـ ﷺ ـ شيئًا ، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة ، وقرع آذانهم ذلك الكلام الإلهي الخلاب ، بقي كلُ واحدٍ منهم مصغيًا إليه ، لا يخطر بباله شيء سواه ، حتى إذا قرأ: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم:٦٢] ، سجد ، فلم يتمالكوا أنفسهم فخروا جميعًا ساجدين.

استمرت قريش في محاربة دعوة النبي ﷺ ، واتبعت في ذلك أساليب عديدة ، عذبت ، واضطهدت ، وهدَّدت ، وأغْرَت ، لكن كل ذلك لم يؤدِّ إلا إلى مزيد من التمسك بدين الإسلام ، وزيادة في عدد المؤمنين. ثم ها هم يستخدمون أسلوبًا جديدًا في محاربة الإسلام ، وذلك بأن كتبوا صحيفة وقعوا عليها جميعًا ، وعلقوها في داخل الكعبة ، تعاهدوا فيها على مقاطعة المسلمين وبني هاشم ، مقاطعة كلية ، فلا يكون معهم بيع ولا شراء ، ولا زواج ، ولا تعاون ، ولا تعامل. واضطُر المسلمون إلى الخروج من مكة إلى شعب من شعابها يسمى (شعب أبي طالب) ، وهناك عانى المسلمون معاناةً شديدةً ، وقاسوا أصنافًا من الجوع والشدة ، وبذل القادرون منهم جُلَّ أموالهم ، حتى أنفقت خديجة ـ رضي الله عنها ـ كل مالها. وتفَشَّت فيهم الأمراض ، وأشرف معظمهم على الهلاك ، لكنهم صمدوا ، وصبروا ، وما تراجع منهم أحد ، ودام الحصار ثلاثة أعوام ، حتى قام نفرٌ من رجالات قريش البارزين ـ ممن تربطهم ببعض بني هاشم قرابة ـ قاموا بنقض ما في الصحيفة وأعلنوا ذلك على الملأ ، فلما استخرجوا الصحيفة وجدوا أن الأرضة قد أكلتها ، ولم يبق منها إلا عبارة: « باسمك اللهم » وانفرجت الأزمة ، وعاد المسلمون وبنو هاشم إلى مكة ، لكن قريشًا ظلَّت على موقفها الظالم في محاربة المسلمين.